ملاحظات مسرحي عن داليا وأغانيها

محسن العزاوي

طيلة شهر رمضان وانتهاء بأول يوم عيد الفطر وعلى (قناة الحرة) تواصل معنا برنامج (الأغاني) الذي اعدته وقدمته السيدة داليا العقيدي "فبات البرنامج" لما احتواه من فكرة وطروحات مثقفة ونقل تاريخي ومعرفي من أفضل ما قدم على الشاشة الفضية كفن وعلم وتعريف فعلى الرغم من التنوع الذي ساد القنوات العراقية وهي عديدة والفضائيات العربية وما سوقته لنا من مسلسلات بات مؤلفوها وصانعوها يكررون ويجترون مواضيع وطروحات لم تلامس أو تؤثر في العقل والوجدان الا القلة منها إلا ان شعاع الامل لابد من ان تتوسع دائرته مجدداً .. على الرغم من كل الحواجز وظروف الابتكار الغامضة، وابرز ما استأثر بي وشدني الى ثقافة عراقية تراثية هو "الأغاني" والذي ترك في نفسي الفرحة والامل والتفاؤل خاصة ما طرح منه من تعريف وتحليل ودقة في الانجاز الفني النظيف.. اداء واخراجاً .. وما يميز هذه الفرحة هو اننا بتنا ندرك أهمية استذكار أولئك الاساطين والمبدعين الذين تركوا بعد رحيلهم أو انقطاعهم هذا الكم الهائل من ثروة غنائية غاب منها الكثير عن اذهان "المشاهد المعاصر" الذي ابتلي بتلك الطقطوقات الهازلة سواء من خلال الكلام أم اللحن.. الا من أولئك الذين اخترقوا الحواجز الهشة لبنية الأغنية العراقية وهم يعدون على اصابع اليد وفي مقدمتهم المبدع كاظم الساهر.

وقد يكون الاثر واضحاً ليس على جيل الألفين فحسب انما على جيل الرواد.. نحن الذين عاصرنا بعضاً من أولئك المبدعين المؤثرين في الذوق والعاطفة والاحساس النبيل بمعنى الأغنية أو ان تكون مطرباً بحق من خلال الفترات الزمنية التي تناولها البرنامج ان جيلنا الحاضر قد يقع في وهم وخلط عندما يتعايش اليوم مع الأغنية المعاصرة تاركاً خلف ظهره ذلك الكم الهائل من الأغاني والتي تنوعت بمناهجها ومدارسها وبين هذا وذاك تطل علينا مذيعة مجتهدة من اب وام مجتهدين في الخلق والابداع بحصانة باحثين مجتهدين ومؤثرين في الحياة الموسيقية العراقية.. كبار في وجهة النظر وعظماء في التحليل فانها والله الثقافة والطرب والمعارف بعينها.. لقد بات الاستغراب يشكل في دوائر متعددة من وجهات النظر.. فانا اعرف في الاقل لمن تنتمي هذه القناة أو تلك وكل لها سياقاتها وخططها ومناهجها السياسية، ولكن ان تنفرد قناة .. مثل الحرة حيث اهتماماتها تنصب مع "ساعة حرة" و"برج بابل" و "نجوم هوليوود" وخطابات جورج بوش ولقاءات الساسة واصحاب السيادة من السياسيين فهذا امر اثار في نفسي أكثر من سؤال .. ولكن الجواب الذي حمل معه أكثر من الحقيقة نفسها ان المبدعين باستطاعتك ان تشم روائحهم اينما وضعتهم فعبيرهم كالوردة وعلى حد قول شكسبير في الوردة "سمها ما شئت فعبيرها الزكي هو .. هو"

ان مجرد تناول مثل هذه الفكرة والتحضير لها بمثل هذه الدقة والاعتبار لهي التقدير والاعتبار للمشاهدين أنفسهم.. فهي لم تكن ضحكاً على الذقون أو ملء فراغ أو تطمين خواطر رمضانية - عراقية انما كان برنامجاً قدم حقائق واحتوى على عناصر البحث الجادة والتقصي المضني.. وبمجرد تقديم الحقيقة الغائبة عن ذاكرة الجيل الحاضر هي الرسالة الاخلاقية والفنية الرفيعة من خلال "رباعي" من الباحثين والمتابعين للحركة الموسيقية العراقية والساحة الموسيقية تشهد لهم بالغنى الثقافي والمعرفي والنقدي امثال عادل الهاشمي وطارق حسون فريد وعبد الرزاق العزاوي.

لقد شكل هذا الرباعي ومن ضيفهم البرنامج امثال هيثم شعوبي والسماوي وغيرهم ممن لم اترصدهم بدقة ومع المايسترو الحقيقية داليا العقيدي .. ذاكرة التراث العراقي الغنائي .. والمؤسف في هذا المجال هو غياب الباحث والمتابع للحركة الموسيقية والغنائية الاستاذ عبد الوهاب الشيخلي صاحب الذاكرة المتفردة في علاقاته بالموسيقى وأهل الطرب. وكذا الحال للمرحوم سعاد الهرمزي .

الشكل الفني للبرنامج

اعود الى الشكل الفني الذي ظهر في هذا البرنامج.. متناولاً هذا الجانب لا باعتباري أبناً لساحة الاستوديوهات أو مخرجاً مسرحياً، انما كمتذوق للفنون باشكالها.. اعتمد هذا الشكل على سينوغرافيا قلما قدحت في ذاكرة مصممي الديكورات في الوقت الحاضر وحتى فيما مضى من برامج من هذا الطراز.. فقد ظهرت للعيان ديكورات ومفردات للعرض لا تمت ا وتنتسب لمحتوى القضية المطروحة..ففي مقدمة برنامج "برج بابل" أو حتى كاريكاتير الشرقية هناك انتساب حقيقي لمحتوى المشروع الفني أم النقدي الذي سيراد طرحه .. سواء بالعناصر أم طريقة المونتاج أم اختيار الموسيقى المناسبة .. والاخيرة لها شأن وتأثير بنفس قوة السينوغرافيا .. فعلى الرغم من ترف وثراء الديكورات التي تصمم وتصرف عليها آلاف الدولارات.. يظل تأثيرها مملاً بل وثقيلاً بمرور الزمن .. فالاثارة والبهرجة والتذوق الفني الدائم شيء آخر.. لأن الصفة الأخيرة تنح المشاهد مادة للتذوق الفني على مراحل ومن شأنها ان تغذي الذاكرة وتطبع الحواس البصرية والسمعية بفيتامينه وغذاء له فوائد واثر على مديات عمر الإنسان .. وديكور "الأغاني" كان له التصاق حي ومؤثر لما كان يقدم.. وحتى التعريف بالمطرب من خلال التقديم والتحليل من خلال الصور المعلقة والارضية وما احتوتها من مكونات السينوغرافيا- جلسة المقدم.. موقع النقاد والباحثين .. وضع الاوركسترا وموقع المطرب وجلسة الجمهور كلها عناصر كان لها اثرها في قمع الملل والتكرار الذي يصاحب بعض البرامج.. حيث الشمال واليمين والوسط .. وافضل برهان على ما اسوقه هو التركيبة السينوغرافية لبرنامج هالة سرحان. كم كنت اتمنى لو ان الصور وضعت بطريقة العرض الامثل وان لا يظهر خمسة فنانين أو أكثر أو اقل على يافطة واحدة فكل واحد منهم له اثره ومكانته في الساحة الموسيقية والمجتمعية بينما بقيت صورة الفنان القدير طالب القره غولي كخلفية لداليا طيلة ثلاثين يوماً.. بينما ذاكرتي الفنية السينوغرافية قادتني كباحث بالسينوغرافيا والاخراج المسرحي بان تتوزع صور المشاهير كخلفية لداليا على أكثر من عشرة فنانين سواء كانوا مطربين ام موسيقيين ام مطربات بدءاً من القبانجي ومروراً بمائدة نزهت وعفيفة اسكندر وانتهاء بفناننا ألمبدع طالب القره غولي، الذي كان له الأثر الكبير في تطوير الأغنية العراقية في فترة السبعينيات منذ ان قفزت أغنية (عزاز عدنه عزاز). واذا ما عدت الى المفردة التالية وهو الحضور- جمهور الأستوديو فقد ظل طيلة الخمس حلقات الأولى خجولاً بعيداً عن الاثر الذي تركته تلك المرحلة المتعلقة بالمقام وأنغامه وتشعباته ولم يقتصر دوره الا على القطيعة دون تفاعل أو استفزاز .. ولربما يعود عدم التواصل هذا الى غياب معرفته بالمطرب وما تركه من اثر .. الا من القلة منهم.. لا لسبب الا لكون المشاهدين من الشباب الذين علقت بذاكرتهم مائدة نزهت وحميد منصور وفاضل عواد وامل خضير وكاظم الساهر .

الا ان وهجه وحماسه وانفعاله بدأ يتصاعد حتى الحلقة الأخيرة بسبب تنوع الاعمار والاثر الطيب الذي تركه البرنامج في نفوس الغالبية منهم .

اما العودة الى مقدمة البرنامج داليا العقيدي فانها ستظل ذكرى مقدسة لشهر رمضان لا لانها عرفت كيف تختار الهيبة والجدية ووسائل العرض اللاتقليدية في تناول المواضيع بل انها اخترقت كل ما هو تقليدي وممل وثقيل في برامج عراقية وعربية.. بل ان مبعث اعجابي انشد لها ذلك انها لم تكن "دلوعة برنامج" سواء بالملبس أو التفاعل حتى الجلوس وحركات اليدين.. فقد بدت أكثر جاذبية من غيرها بتواضع ادائها ووسائل التعبير الكلامية التي كانت تمتزج باللغة العربية السليمة الاداء أو باللهجة العراقية المحببة .. كما ان الاهتمام الكبير الذي اخذ بنظر الاعتبار من المنتج والمخرج ومقدمة البرنامج هو التركيز والتأكيد على دور الفرقة الموسيقية الذي تنوع بين بعض الحلقات لسبب وجيه ومعقول وقد بلغت ذروة اداء هذه الفرقة في الحلقات الأخيرة خاصة عندما ادخلت آلات موسيقية ذات اثر بين .. مع ادراكي ان لكل مرحلة لونها وخصوصيتها في العزف والاداء .. مع تفاوت اداء (المطربين الظل) الذين توالوا على المنصة لتقديم بعض الأغاني .. وكنت اتمنى لو ظهرت هذه الأغاني بشخوصها الحقيقية وهي موثقة ومسجلة لدى اغلب الشركات أو من توفرت لهم فرصة جمعها سواء في ماكتبهم أو في بيوتهم.. بل وتركت اثراً اقوى كما تركه ياس خضير عندما ظهر مع اوركسترا قوية الاداء ونقل لنا من خلالها ثراء الروعة والتنظيم والتأثير الفني اللائق.

ان أهمية هذا البرنامج تكمن لكونه ارشفة جديدة وان الجانب التحليلي والمعرفي والنقدي زاده قيمة ومكانة وحيوية إلا ان الاسى يكمن في النفس هو فقدان هذه الثروة عندما احترقت واحترق معها التراث والاثر الفني الجليل وبضياعها واحتراقها، قد احترقنا معها ولكن "الأغاني" اعادت لنا الامل في الاستذكار في الاقل.

شاعر بقبعة من القش وفكرة مرهفة

علي بدر

الشاعر صلاح ستيتية

رأيت الشاعر صلاح ستيتية مرة في عمان، كان يرتدي قبعة من القش. نظر لي بعينيه الصغيرتين مبتسما وقال: "الكاتب هو قبعة من القش وفكرة مرهفة"...لم أفهم كلامه مباشرة غير إني أدركت فيما بعد أنه يتكلم شعرا، وأقصد يتكلم عن الإحساس لا عن التجريد، عن التضمين لا عن التعيين.

كتبت سوزان زونتاغ: "إن الإحساس في الفن هو البديل عن التأويل ..". لقد أرادت بحق أن تجعل من الحس بديلا عن المعنى..وأن تجعل من مشاعر الفكرة بديلا عن الفكرة المتحققة، وهكذا علق جان بيير ريشار الذي أولع بشعر بول فاليري ومقبرته البحرية بأن جذر الشعر هو شرارة تولد الفكرة.. شرارة تتوهج بعمق واحساس نادرين، تتوهج لتضيء شيئا ما في داخلنا، ثم تنطفئ شيئا فشيئا غير أنها تخلف ندبة الحرق والكي التي لا تندمل أبدا...الفكرة إذن هي الكي والحرق في الكتابة، وهي الجذوة التي تشتعل ولا تنطفئ مطلقا، تشتعل بفعل الزيت الذي تديمه لذة النص، بفعل المشاعر التي تخترق سطح الكتابة وتصل إلى العمق..تصل إلى الأبعاد القصوى في اللذة. إن اللذة في الكتابة هي الوجه الآخر للحرب والمرض والعزلة.

جاك دريدا لا يتمسك بفكرته ...إنما يحلق معها... الفكرة تهدم ..تهلك وتبيد..إنها خط..بذرة..تنمو وتخيف..إنها ما تولده الكتابة من رغبة جامحة توقظ مخيلتنا وأحلامنا، إنها ما تولده الكتابة وتشكله ..وما تقدمه من أحلام تريد أن تحتل مكانا وسط فوضانا؟ وسط فوضى أشيائنا العديدة وحواسنا المضطربة والمشوشة، أو وسط ممكناتنا... الفكرة في الكتابة..هي الإحساس بالفكرة.. هي الخيط الذي تتركه فينا مثل أثر الطعم اللاذع على اللسان..أو مثل الخط المرسوم على اليد..أو مثل الحرق على اللحم الذي تتركه قطرة من التيزاب.

الفكرة لا تأتي في الكتابة إلا متحررة من سياق اللغة...فكرة خارقة، تأتي على هامش الوقائع التي تحيط بها، فكرة متجاوزة كل الوقائع، متجاوزة كل الأشياء والأحداث، إنها الحد الفائق في النص، والتي لا يمكن تجاوزها إلا لصالح واقع افتراضي أو أثيري. ..الفكرة هنا هي نزوع نحو عالم مشوش ولانسقي ومضطرب وكارثي...الفكرة هنا هي قلب وتأرجح بين ما هو واضح وما هو ملتبس، بين ما هو مغلق وما هو منفتح، بين ما هو بديهي وواضح ويقيني وبين ما هو معتم ومستغلق وعصي على الإدراك، الفكرة هي توتر بين ما هو مستبعد وما هو قريب، بين ما هو إنساني وما هو إسطوري، الفكرة هي صراع دائم بين ما هو قائم وما هو متخيل، بين ما هو موجود وما هو أثيري.

هكذا تعرفت على صلاح ستيتية، وترجمت قصائده، وأصبحت بيننا مراسلات عديدة. لقد أحببت شعره لأنه يعلن دائماً عن امتزاج الفكرة بالواقع الشبحي، يعلن عن الروح الخفية في الحياة، عن الوقائع الكونية التي تهيمن علينا، يعبر عن الوقائع المحسوسة والمبهمة في آن مثل الحب والغيرة والحسد والانسحاق الإنساني والتوتر...وهو مثل آن بورتوغال Anne Portugal حين كتبت في ديوانها " الثنية على البنطال" : إن شارع الموريون يؤخرون تسجيله...كما لو إني بليز تحت المدارات..ديكور بسيط ومؤلف جيدا يذكرني بشيء اسمه بدلة أو سترة أو فكرة". الفكرة هنا هي تفكيك الدلالة والمعنى، الفكرة هي إرادة تفكيك اللغة..تفكيك الكلمات والأفعال والمعاني، الفكرة جديدة لا تنتمي إلى لغة...ولا إلى نسق تداولها وتناولها. اللغة تتزعزع وتهدم نفسها وسط المعنى، اللغة تعيق تطورها ونموها الغنائي لصالح فكرة مختزلة، لصالح فكرة يتداخل فيها الصمت والصورة، يتداخل فيها الرمز والدلالة، ويشكل الإحساس سمتها الصوتية والبصرية، ولكن هل تصل الفكرة إلى مغزى الليل...هل تصل إلى مغزى النهار..هل تقف عند منتصف الطريق أم تصل أخيرا، هل تصل أم لا تصل أبدا هكذا كتب الدوق ألفا في مذكراته عن الكتابة البيضاء التي أدركها وهو يكتب روايته.

كتب رولان بارت فيما مضى عن أصابع الفكرة المحطمة وعن موت نصف الحقيقة كي لا يبقى التاريخ هالة بلهاء... كان بارت يعرف أن الفكرة بسيطة وناعمة مثل عشب، لكن الحقيقة معقدة مثل الكتابة، ومثل الحياة، وهكذا كتبت جويس منصور في ديوان صرخات (" cris):الفكرة هي أنت حين تلتهمني بعينيك..حين تلتهمني بلسانك الوحشي ويديك". لقد أرادت جويس منصور أن تجعل من الفكرة رغبة من رغباتها، أرادت أن تبعثها هناك وراء الكلمات لتتحول إلى يدين ولسان، كانت تبحث عن المحسوس وراء المعقول، كانت تفكر في تحويل الوقائع إلى كسر وشظايا. الرغبة في شعر جويس منصور مثل الفكرة في شعر صلاح ستيتية، فكرة تعكس أرواحا مصغرة ومنمنمة، كل فكرة تتعرض للتبدل والزوال، كل جسد يواجه الانقسام والتبعثر، كل شيء يفارق الغرابة ويدخل في الافتتان والموت..." الفكرة هي أن نلتحم ونموت" فندرك عبر الفكرة لا الجسد وحده ..إنما الواقع الشبحي الذي يعلن عن عدميته ولا جدواه.

حين نحلم بالكتابة..ستغدو أحلامنا متقاربة، هكذا كان هولدرلن يعتقد وهو في جذوة جنونه، الكتابة هي الحلم ..الحلم بوصفه استعارة كامنة في موتنا. والمخيلة هي التي تقودنا إلى الحلم مرة وإلى الفكرة مرة أخرى، غير إن الفكرة في الكتابة لها معنى مؤجل دائماً، أو معنى في حالة كامنة، معنى يتغير من مكان إلى مكان، معنى له دلالات جديدة، يتبلور في كل موقع ليبين قدرته على إثارة الحلم، الفكرة متضمنة فينا ومتكلمة منا، تتكلم مثلما تتكلم الأفكار والأحلام، إنها خيال في الخيال ذاته، تنمو باطراد، وتتوسع على الدوام وتنتشر، إنها أشكال متغايرة لفكرة أو لعبارة أو لكلمة، أو لإحساس، يتحول إلى جوهر، وإلى تأكيد، ويرتقي في خيالنا إلى الدرجة القصوى من سلم تفكيرنا.

أنا أتحدث عن الكتابة هنا بوصفها نوعا من التوحد التام بين الكشف الحسي والمقاربة الجسدية، أتحدث عن البعد التعبيري في اللغة عندما لا ينفصم مطلقا عن الرغبة، أتحدث عن الكتابة بوصفها نوعا من التحليق بالفكرة فوق الحياة وما تحتها، وها هي بعض كتب صلاح ستيتية بين يدي، قد أرسلها لي وكتب لي معها رسالة رقيقة، وعلق في جملة أخيرة:

" أنا على الشاطئ الأخير من بحر الحياة وأتساءل ..هل كان لحياتي معنى"..نعم الكتابة هي المعنى الذي يقودنا إلى الغبطة الأبدية، هي فيض المعنى الذي نبحث عنه في الحياة وما وراء الحياة، هي الجاذبية الخلاقة والساحرة والتي تقودنا بالتأكيد إلى نوع من التجلي والتسامي الأخلاقي.

قراءة في مذكرات مختلفة

قاسم عبد الامير عجام

١-٤

طالت قائمة مؤلفاته حتى جاوزت الخمسين عدداً فضلاً عن بحوثه ومقالاته العلمية المنشورة في الدوريات المتخصصة التي بلغت ستة عشر ومائة عدداً .

انه احمد سوسة المهندس، الباحث، رجل القانون والادارة والمؤرخ .. وأنت مدعو للكتابة عنه.

فماذا تأخذ وماذا تدع وقد توزعت اعماله بين الري والهندسة والزراعة والجغرافية والتاريخ والحضارات والأديان؟ أفليس الأقرب اليك ان تقود زورقك في فيض مؤلفاته ودراساته عن الري والفيضان؟ بلى. أفلست مهندساً زراعياً؟ أفلم تتلق دراسة خاصة في الري والبزل ؟ أو لم تكن مديراً لاحدى أهم دوائر الري والزراعة في العراق؟ حسناً، فدونك منجزه الأقرب لما انت فيه من اختصاص ولما عملت فيه باحثاً ومديراً. اجل ، وتلك رغبة فيك منذ اطلعت على عالمه المعرفي الواسع.

ولكن كيف ، وما بين تكليفك بالكتابة وموعد الحلقة الدراسية التي ستقدمها اليها زمن لايكاد يكفيك لمجرد مراجعة بعض أعماله ؟

اجل، وليست مبالغة تلك.. فقد اصدر في قضايا الري مؤلفات عديدة ، كبيرة :

١- المصادر عن ري العراق - ١٩٤٢ .
٢- وادي الفرات - ج١ ، ج٢- ١٩٤٤، ١٩٤٥ .
٣- تطور الري في العراق- ١٩٤٦,
٤- ري سامراء في عهد الخلافة العباسية ، بجزأين -١٩٤٨,
٥- فيضانات بغداد في التاريخ، بثلاثة اجزاء - ١٩٦٣، ١٩٦٥، ١٩٦٦ .
٦- الري والحضارة في وادي الرافدين - ١٩٦٨ .

هذا باللغة العربية ، وباللغة الانكليزية اصدر :

- دليل ري العراق -١٩٤٤
- الري في العراق - ١٩٤٥ .
سدة الهندية : تاريخها، تصميمها، عملها -١٩٤٥ .

بل وانه إذ نظر في "تاريخ حضارة وادي الرافدين" فقد درسه" في ضوء مشاريع الري الزراعية والمكتشفات الاثارية والمصادر التاريخية" فكان كتابه الكبير بجزأيه عام ١٩٨٣ مما يشير الى تعمقه في قضايا الري هندسة وفلسفة وتأثيراً مما يفرض على اية دراسة لمنجز احمد سوسة في تلك القضايا ان ترقى اليه ، أو على الاقل ان تقف على ضفافه وقفة مستوعب مدرك لامتدادها .

وليس متاحاً الاتيان بدراسة لتلك في وقت محدد تنهش فيه التزامات العمل الذي تكتسب من خلاله قوتك.

ولكن لا مناص من ملامسة احمد سوسة.. فانت تريدها لنفسك قبل ان تفي لما كلفت به، فلتعد الى مذكراته لعلها تلهمك وسيلة ما ، وأنت تعلم مذ قرأتها أول مرة ، ان فيها ما يميزها.

وعدت . عدت اليه يقول:

"ان سيرتي هذه تختلف عما اعتاد القارئ ان يطالعه من السير والمذكرات السياسية المألوفة فانا لم اكن من أصحاب المعالي والفخامة ولا طمحت في يوم من الأيام ان اصل الى هذه المناصب السياسية في حياتي فانصرفت كلياً للبحث والتتبع منذ ان وطأت قدماي ارض الوطن بعد العودة من الدراسة في خارج العراق قبل حوالي خمسين سنة مستغلاً وظيفتي اقصى حدود الاستغلال في هذا المجال بعيداً عن الجو السياسي المشحون بالنفاق والرياء" ص,٣٥

وقوله حق. فهي مذكرات معرفية أكثر منها سيرة حياة، مع ان مساحتها تمتد في الزمان لعقود عديدة . وتمتد في المكان من الحلة في العراق الى شماله، وباديته ثم الى كل مواقع الحضارة فيه.. ومنه الى الشام وبيروت بالذات. ومنها الى الولايات المتحدة طولاً وعرضاً مروراً بأوربا في الذهاب والاياب.. براً وبحراً. وكل أولئك أسس لسيرة يمكن ان تحشد بالوقائع والحكايا والمشاهد.

لكن ما كتبه في (حياتي في نصف قرن) (١) شيئ آخر، لم ينشغل بوصف ما رأى الا بقدر ولا باسترجاع ما عاشه ، أو موقف وقفه الا بقدر .. وهو قدر صلته بانشغاله المعرفي وبمواقفه التي تنبع منه مما يسمح بالنظر اليها كسيرة معرفية وهو ما نحاوله في هذه القراءة.

ونسأل.. هل يعني قولنا ان مذكرات احمد سوسه مذكرات معرفية لا ترسم صورة له ؟

أبداً .. بل نزعم اننا نستطيع ان نرسم صورة للرجل من خلال ما رواه عن اسرته وتربيته . وما رواه عن ميوله المعرفية وما كتبه وما ناقشه بشكل خاص.

ولا غرو، فاننا ممن يؤمن بان قيمة الإنسان ما يحسنه.. وان الإنسان عمله وإننا على مذهب الامام علي بن ابي طالب (ع) إذ يقول : تكلموا تعرفوا .

وعلى ذلك، وقد تكلم الرجل، نزعم اننا من خلال مذكراته هذه نرى كاتبها وعمله مما يسمح ان نقرأها من خلال محورين رئيسين:

اولاً: صورة المؤلف ومكونات شخصيته.

ثانياً: الملامح المعرفية للمذكرات.

❖❖❖

اولاً. صورة المؤلف ومكونات شخصيته

نزعم ان القارئ المتدبر لـ(حياتي في نصف قرن) لايستطيع ان يرى صورة احمد سوسة فقط، وانما يجد صورة العراق ومجتمعه المفعم بالسماحة تحيطان به من خلال الحلة.. مدينته ومهد صباه، ولعلنا لا نبالغ إذ نقول ان صورة العراق هي المرآة الواسعة، التي تحتضن ضمناً صورة المؤلف المتحدث.

فنحن من خلال سطوره نتحرك في مجتمع متماسك بقوة.. متسامح لا يعرف التمييز بين ابنائه مبرأ من التعصب والطائفية حتى ليبلغ ذلك التسامح والتماسك حداً لا يشعر فيه ابن الاقلية الدينية انه منها، أو ان ثمة ما يشير الى انه يحس بذلك، ولذا يتساءل مستغرباً وهو ابن سبع أو ثمان سنين إذ سمع بنبأ تحول عمه (شاول) من اليهودية الى الاسلام ما هو الفرق بين اليهودي والمسلم ألم اكن اعرف شيئاً عن المسيحية ؟ الم يكن رفاقي كلهم من المسلمين ؟ الم نكن كلنا عرباً ؟ " ص٧١ .

حقاً انه يشير الى حزن عائلته لذلك النبأ، لكنه يرى ذلك نتيجة هيمنة احبار اليهود وكابوس تعصبهم! والا فان الظرف الموضوعي المحيط بالاسرة لا يشي بأنها تعاني من شيء يدخل في باب التمييز الديني إذ كان والده، لصدق تعامله، "محبوباً لدى عارفيه" وكانت له منزلة ذات شأن في المجتمع حتى عين عضواً في مجلس إدارة اللواء" ص,١٠٧ وكان موكلاً بشؤون الزراعة في اللواء (المحافظة) مما اتاح لولده، صاحب المذكرات، ان يتعرف عن كثب على المزارعين ورؤساء القبائل واخلاقهم وطريقة معيشتهم مما سمح لمعرفته تلك ان ترسم في نفسه صورة الحياة العربية الاصيلة بما في ذلك المبادئ الاسلامية ص١٠٨ .

ومصداق ذلك احساسه بالامان والانغماس بالميل العام ونبض الوسط الذي عاش فيه مما جعله "محباً للانسانية" "احب ما احبه العرب واميل الى حيث اتجهت ميولهم ورغباتهم وامانيهم في الحياة حتى أصبحت شغفاً بركوب الخيل العربية (ص١٠٨- ١٠٩)، ولا يمر يوم إلا ويقضي فيه "ساعتين أو ثلاثاً أو أكثر على ظهر فرسه بين باحات المزارع والترع مرتدياً العقال والعباءة .. وانه ليقر بمنتهى السعادة "ان كل أسباب لهوي حاصلة وفق رغباتي وميولي ص ١٠٩، وان عائلته إذ تحقق له جواً اسرياً راقياً فلاحساسها هي الاخرى بالامان والثقة بالمستقبل مما امن لابنائها ذلك الاستقرار والاحساس بالانتماء للمحيط الذي نشأوا فيه . وهي نشأة تهيء للمزيد من الانتماء.

بل وانه لانتماء راسخ تجلى في مراحل تفتح الوعي، والنضج كما عبرت عنه مرحلة دراسة احمد سوسة في الجامعة الاميركية في بيروت، وانغماسه بنشاط الطلبة العراقيين الذين يواصلون شوط السماحة الدينية في دائرة الوطنية فيمنحون زميلهم ثقتهم بانتخابه عضواً في هيئة إدارة جمعيتهم، ويمنحهم حبه مجدداً ويفيض ثقة بمستقبل وطنه الذي يحضن ابناءه وهو يتقدم بهم، ولذا يحث زملاءه على التقدم العلمي متخلقين "بافضل الاخلاق حاملين بين جنبينا سريرة نقية طاهرة نقدمها هدية الى وطننا المحبوب فننشأ إذ ذاك - المحمدي والموسوي والمسيحي- متحدين لغاية واحدة متمسكين بقوميتنا بعيداً عن التعصب المذهبي أو الديني" ص ١٣٤ .

وانه إذ يقتنع بذلك التوحد الوجداني في حب الوطن ، لا يكتفي بالحث عليه، وانما يحرسه حتى من مجرد وخزة خفية من خلال الانحياز لاحدى الطوائف - حتى ان كانت طائفته- كما رآه في ممارسة جريدة المصباح التي صدرت في بغداد بتاريخ ١٩٢٤/٤/١٠ ورئيس تحريرها انور شاؤول وهي (تحتضن اخبار وحوادث طائفة معينة (الطائفة اليهودية) في حين اننا كلنا عرب في وطن واحد) ص١٣٥ .

ولذا يكتب اليها يعيب عليها انحيازها ذاك واصفاً اياها بانها مصباح يعكس شمس العنصرية منطلقاً من قناعته بوجوب مشاركة الجريدة "مجموع ابناء الوطن بافراحه واتراحه، وان التفرقة والتعصب يحولان دون تقدمنا ونهضتنا" ص١٣٦ .

وان الرابطة القومية والاتحاد الوطني هما السبيل للنهوض والتقدم رقياً الى قمم المجد.

اما ادعاء الجريدة بتعبيرها (عن شعور الإسرائيليين في العراق) فهو مجرد ادعاء يتوهمه صاحبها والا فان (الاسرائيليين في ارياف الرافدين عراقيون اعراب فلم يركنوا الا تحت ظل وحدة الوطنية العراقية " ص ١٣٧ .

١- احمد سوسة- ١٩٨٦ "حياتي في نصف قرن" - بغداد - مطابع دار الشؤون الثقافية.